البابُ الثانى: علمُ البيان

البيانُ **لُغَةً** معناه الكشف والوضوح، والظهور؛ تقول: بانَ الصبحُ لكلّ ذي عينين، أي: ظَهَرَ وانتشرَ ضوءُهُ، وتقول: بانَ الحقُّ من الباطل، أي: وَضُحَ وتميّز.

وفي **الاصطلاح**: (**هو التعبيرُ عن المعنى الواحد بِطُرُقٍ مُختلفةٍ، بعضُها أوضحُ من بعضٍ، وأكبرُ تأثيراً من بعضٍ، ولكلٍّ من هذه الطرق خصوصية في تصويرِ المعنى وتقديمه ليست في غيرها**)، فإذا أرادوا التعبير عن معنى **الكرم** مثلاً، عبَّروا عنه بطُرقِ علم البيان الحاوية للصور الأدبية، فلا يقولون في التعبير عن هذا المعنى-مثلاً-: (**فلانٌ كريمٌ**)؛ لأنَّ هذه العبارة ليست بياناً عندهم لخلوّها من الصور الأدبية كالتشبيه والاستعارة والكناية وأنواع المجاز الأُخرى، لذا فإنَّهم يعبرون عن هذا المعنى بإدخال هذه الصور الأدبية التي أشرنا إليها، وهي: (**التشبيه والاستعارة، والكناية، وأنواع المجاز الأخرى**)، فيقولون: (**أنت بحرٌ**)، تشبيهاً للممدوح بالبحر في سِعَةِ الجُود؛ لأنّ صورة البحر في الأذهان تُوحِي بالكرم، ولأنَّ العربَ عندما تُريدُ أن تمدحَ رجلاً، وتصفه بالكرم، فإنَّها تُشَبِّهُهُ بالبحر، قال الشاعر:

كالبحر تقذفُ للقريبِ جَواهِراً ... جُوداً وتبعثُ للبعيدِ سحائبا

ويقولون في التعبير عن معنى الكرم أيضاً: (**ليسَ لِجُودِكَ ساحِلٌ**)، يُريدون مدحه بالكرم أيضاً، فعبَّروا عن هذا المعنى بطريق الاستعارة المَكْنِيَّة؛ لأنَّ أصل هذا الكلام مأخوذٌ من قولهم: (**جودك كالبحر**)، فقولهم: (**ليسَ لِجُودِكَ ساحِلٌ**) أرادوا به تشبيه الرجل الكريم بالبحر الذي ليس له ساحل لسعته، فالوجه الجامع بين الطرفين هو السعة في كلٍّ منهما، (**سِعَةُ عطاءِ الرجل الكريم، وسِعَةُ البحر**).

ويقولون في التعبير عن هذا المعنى-أيضاً- بأُسلوب الكناية: (**جَرَى نَهْرُ أَنْعُمِكَ**)، فهذهِ كنايةٌ عن المدح بصفة الكرم، ويقولون: (**دعاني نداك**) يُريدون مدحه بالكرم أيضاً بأسلوب المجاز العقلي؛ لأنّ (**الندى**) معناه الكرم، والكرمُ سببٌ في مجيء المتكلم إلى المخاطب، فهو مجازٌ عقليٌّ علاقته السَّببية، ويقول الشاعر:

عَلَا فما يَسْتَقِرُّ المالُ في يَدِهِ ... وكيف تُمْسِكُ مَاءَ قِمَّةُ الجبلِ؟!

يُريدون مدحه بالكرم أيضاً بأسلوب التشبيه الضمني مُشَبِّهين علوّ كف الممدوح وسموه-لكرمه- بعلو الجبل (**قمة الجبل**)، وَخُلُوّ يدهِ من المال كَخُلُوّ قِمَّةِ الجَبَلِ من الماء،؛ إذ هي لا تُمْسِكُ الماءَ خِلْقَةً، ويُعبِّرون عن معنى الكرم بقولهم: (**فلانٌ يُعطي باليمين**)، كناية عن كرمه، وسعة جوده؛ لأنَّ اليد اليُمنى أشرفُ من اليسرى عُرفاً، ويقولون: (**فلانٌ يُعطي بكلتا يديه**)، وهذه العبارة كناية عن غاية الجود والإحسان، وعليه قوله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: **چئوئۇئۇئۆئۆ ئۈچ** [المائدة:٦٤]، إذ إنَّ هذا الجزء من الآية هو كناية عن مُنتهى الجُود والفضل والإحسان بما لا شبيهَ لهُ.

وأبوابُ علم البيان منحصرة في ثلاثة، هي: (التشبيه، والمجاز، والكناية)، وهي على النحو الآتي:

الفصلُ الأوَّل- التشبيه: (أركانُهُ، وأقسامُهُ)

التشبيهُ لُغَةً واصطلاحاً:

يُسْتَشَفُّ من معاني التشبيه **لُغَةً** أنَّه يَتَضَمَّنُ معنى التمثيل، أو المماثلة؛ (**يُقالُ: شَبَّهْتُ هذا بهذا تشبيهاً، أي: مَثَّلْتُهُ به**)، وهذا يَدُلُّ على ما بين الشيئين-المراد عقد المقارنة بينهما- من شَبَهٍ يزداد أحياناً إلى حدٍّ يَخْلِطُ المرءُ بينهما، فتتولّد عن ذلك مشكلات في تمييز أحدهما عن الآخر، وهذا الاختلاط والإشكال الناتج عنه نلمحهُما بوضوح في المعنى اللغوي للتشبيه، فالمماثلة بين أمرين تكون على مراتبٍ تتفاوتُ قُوَّةً وضَعْفاً، على ما سنرى.

وهذا المعني اللغوي للتشبيه ليس بعيداً عن المعنى الاصطلاحي الذي جرى عليه علماءُ البلاغة فيما بعد في تحديد فنِّ التشبيه **اصطلاحاً**، وهو: (**الدلالةُ على مُشاركةِ أمرٍ لأمرٍ آخر في وجهٍ أو أكثر من الوجوه، أو في معنى أو أكثر من المعاني**)، أو هو: (**بيانُ أنَّ شيئاً أو أشياءَ شاركتْ غيرها في صفةٍ أو أكثر**).

أدوات التشبيه:

وهذه المشاركة تَتُمُّ بأداةٍ من **أدوات التشبيه:** كالكاف مَلْفُوظةً نحو: (**محمدٌ كالأسدِ في الشجاعةِ**)، أو مُقَدَّرةً نحو: (**محمدٌ أسدٌ في الشجاعةِ**)؛ لأجل التقريب بين (**المُشَبَّه**) و(**المُشَبَّه به**) في وجه الشبه، فهذا التركيب يتكون من مُشَبَّهٍ هو: (**محمد**)، ومن مُشَبَّهٍ بِهِ هو: (**الأسد**)، ومن أداةِ تشبيهٍ هي: (**الكاف**)، ومن وجهِ شَبَهٍ هو: (**الشجاعة**)، فهذه هي **أركانُ التشبيه** الأربعة التي ينطبق عليها حَدُّ التشبيهِ في اصطلاحِ أهلِ البلاغةِ.

أركان التشبيه:

الركن الأول: المُشَبَّه: وهو أساسُ التشبيه، وكُلُّ عناصر التشبيه تأتي لإبرازِهِ وتوضيحِهِ، وإجلاء هيأته، وإيصال عاطفة الكاتب أو الشاعر أو الخطيب نحوه؛ لِتَتمَّ المشاركةُ بين المُبْدِعِ والمُتَلَقّي، فيتأثّر القارئ أو السامع به، ويحسُّ بانفعالهِ، ويدركُ خيالَهُ، ويتفهَّمُ أفكارَهُ، فالمُشَبَّه: هو الطرف الذي يُراد إلحاقُهُ بالمُشَبَّه به، أو هو الطرف المستعار له، كقول الشاعر:

أنتَ كالليثِ في الشجاعةِ والإقـ.....ـدامِ والسيفِ في قِراعِ الخُطُوبِ

فالمُشَبَّه هو الضمير المنفصل (**أنتَ**)، وهو الركن الأساس الذي يجيءُ التشبيه لخدمته، وتوضيح مزاياه وصفاتهِ، وإبرازها بالشكل الذي يفي بالغَرَضِ من التشبيه، ويغلب أن تكون الصورة أو

الصفة في المُشَبَّه به أقوى وأظهر وأشهر منها في المُشَبَّه، فصفتا (**الشجاعة والإقدام**) هما أقوى وأظهر وأشهر في **الليث** منها في الممدوح، وكذلك صفة (**قراع الخطوب**) هي أقوى وأظهر وأشهر في **السيف** منها في الممدوح، فتشبيه الممدوح بالليث في الشجاعة والإقدام، وبالسيف في قراع الخطوب يوضّح مقدار صفة الشجاعة عند الممدوح، ولولا التشبيه لما عرفنا مقدار هاتين الصفتين.

الركن الثاني: المُشَبَّه به: وهو الطرف المستعار منه، أو هو الصورة التي يُرادُ بها تمثيل المُشَبَّه، ويجب أن تكون هذه الصورة، أو الصفة في المُشَبَّه به أقوى وأظهر وأشهر منها في المُشَبَّه كما قلنا سابقاً، نحو قول الشاعر:

أنتَ كالبحرِ في السماحةِ والشمـ.....ـسِ عُلُوّاً والبدرِ في الإشـراقِ

فألفاظ **المُشَبَّه به** في هذا البيت هي: (**البحر، والشمس، والبدر**) جاءت كلها لتوضيح صورة المُشَبَّه أو هيأته، لما ينطوي عليه كُلُّ واحدٍ من هذه المُشَبَّهات به الثلاثة من صفات تبرز المعنى المراد، وتجلوهُ في صُوَرِهِ المختارة، فصفة (**السماحة**) في البحر أقوى وأظهر وأشهر منها في الممدوح، وكذلك صفة (**العلو**) في الشمس أظهر وأبين وأشهر منها في الممدوح، وكذلك صفة (**الإشراق**) هي أقوى وأظهر وأشهر في البدر منها في الممدوح، لكنَّها جميعاً جاءت لتوضيح هذه الصفات في المُشَبَّه.

الركن الثالث: وجه الشبه: وهو الوصف المشترك بين المُشَبَّه والمُشَبَّه به على سبيل الحقيقة أو التخييل، ويجوزُ حَذفُهُ وإبقاؤُهُ.

الركن الرابع: أداة التشبيه: وهي اللفظة التي تَدُلُّ على المماثلة أو المشاركة، وقد تكون ملفوظةً أو ملحوظةً(مُقَدَّرةً)، وَحَذْفُهَا يُفِيدُ تأكيدَ التشبيهِ، إذ يعني أنّ (المُشَبَّه) و(المُشَبَّه به) في هذا التركيب كأنَّهما متماثلان تقريباً.

وأدوات التشبيه تأتي على ثلاثة أنواع: **حروف:** (الكاف-ويليها المُشَبَّه به دائماً-، وكأنَّ- ويليها المُشَبَّه دائماً)، **وأسماء:** (مِثْلُ، ومَثَلُ، ومُماثلُ، وشِبْهُ، وشَبِيهُ، ومُشابهُ... وما شاكَلَهَا)، **وأفعال:** (شابَهَ، يشابِهُ، حَسِبَ، يَحْسَبُ، خالَ، يخالُ، ماثَلَ، يُماثِلُ ... وما شاكَلَهَا).

أقسامُ التشبيه:

قَسَّمَ علماءُ البلاغة التشبيهَ إلى عِدَّة أقسامٍ، وقد جَرى هذا التقسيمُ عندهم باعتبارات وحَيثيَّاتٍ مُختلفةٍ، على النحو الآتي:

القسم الأول- ألوان التشبيه باعتبار وجود (الأداة ووجه الشبه) معاً، أو حذفهما معاً، أو حذف أحدهما:

جرى البلاغيون على تسمية التشبيه بأسماءٍ معينةٍ باعتبار وجود الأداة أو حذفها، وباعتبار وجود وجه الشبه أو حذفه، وباعتبار وجودهما معاً أو حذفهما معاً، وكما يأتي:

1- **المُرْسَل:** هو التشبيه الذي ذكِرَتْ فيه الأداة، وسمي مُرْسَلاً لأنّ المنشئ ذكر أداة التشبيه، فأرسلها على طريقة العرب في التشبيه.

2- **المُؤَكَّد:** هو التشبيه الذي حُذِفَتْ منه الأداة، وسُمّيَ مُؤَكَّداً لأنَّ حَذْفَ الأداةِ يعنى أنّ الطرفين مُتماثلان تماماً، فالمشابهة مؤكَّدة.

3- **المُفَصَّل:** هو التشبيه الذي ذُكِرَ فيه وجه الشبه، وسُمّيَ مُفَصَّلاً لأنّ وجود وجه الشبه يعني أنّ التشبيه جاء مُفَصَّلاً لا غموض فيه.

4- **المُجْمَل:** هو التشبيه الذي حُذِفَ منه وجهُ الشبه، وسُمّيَ مُجملاً لحذف وجه الشبه، فأصبحت المشابهة مفهومة أو مُدركة على وجه الإجمال، وليس على وجه التفصيل أو التحقيق.

وترتَّبَ على هذه التسميات أنْ تمّ تقسيم التشبيه إلى أربعة أنواع، وذلك وفق ما يكون عليه كلّ تشبيه من إثبات الأداة ووجه الشبه معاً، أو حذفهما معاً، أو حذف أحدهما وإبقاء الآخر، وبذلك يُمكنُ ترتيب هذه الأنواع على النحو الآتي:

1- **التشبيه المُرْسَل المُفَصَّل:** ويُسمَّى: التشبيه التام أيضاً، وسمي مُرْسَلاً مُفَصَّلاً لوجود الأداة ووجه الشبه معاً في المثال الواحد، نحو: (**زيدٌ كالأسد في الشجاعة**)، ونحو قول الشاعر:

كأنَّ أخلاقَكَ في لُطفِها وَرِقَّةٍ فيها نَسِيمُ الصباحِ

فالمُشَبَّه: (**أخلاقك**)، والمُشَبَّه به: (**نسيم الصباح**)، والأداة: (**كأنَّ**)، ووجه الشبه العبارتان (**في لطفها + وَرِقَّةٍ فيها**)، أي: اللطف والرقة، فالتشبيه **مُرْسَلٌ مُفَصَّلٌ**، فهو **مُرْسَلٌ** لوجود الأداة، **ومُفَصَّلٌ** لوجود وجه الشبه.

2- **التشبيه المُرْسَل المُجْمَل:** وسُمِّيَ مُرْسَلاً مُجملاً لوجود الأداة، وحذف وجه الشبه في المثال الواحد، نحو: (**زيدٌ كالأسد**)، ونحو قول الشاعر:

وأرضٍ كأخلاقِ الكرامِ قطعتها وقد كحَّلَ الليلُ السماكَ فأبصرا

فالمُشَبَّه: (**الأرض**)، والمُشَبَّه به: (**أخلاق الكرام**)، والأداة: (**الكاف**)، أمَّا وجهُ الشبه فمحذوفٌ، وحَذْفُ وجه الشبه يدعو الإنسان إلى التفكُّر في الصفة أو الصفات المشتركة التي جعلتِ المُشَبَّه مُماثلاً للمُشَبَّه به، مما يُضفي على الصورة لوناً من الغموض والإيحاء، ويفسح المجال للتخيّل والتصوّر، خصوصاً إذا كان المُشَبَّه به ذا صفاتٍ مُتعدّدة، ومن أمثلة التشبيه المُرْسَل المُجْمَل أيضاً قوله-ﷻ-: **ژ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ژ**[الرحمن:24]، وقوله-ﷻ-: **ژ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ژ**[الحاقة:7].

3- **التشبيه المُؤَكَّد المُفَصَّل:** وسُمِّيَ مُؤَكَّداً مُفَصَّلاً لحذف الأداة، ووجود وجه الشبه في المثال الواحد، نحو: (**زيدٌ أسدٌ في الشجاعة**)، ونحو: (**العالِمُ سِراجُ أُمَّتِهِ؛ في الهدايةِ وتبديدِ الظلام**).

فالمُشَبَّه: (**العالِم**)، والمُشَبَّه به: (**سراج أمته**)، ووجه الشبه: (**الهداية وتبديد الظلام**)، أما الأداة فمحذوفة، فالتشبيه في هذا النوع الذي حُذِفَتْ فيه الأداة يُعَدُّ أقوى؛ لأنَّ وجود الأداة يُوحي بوجود طرفين أحدهما يشبه الآخر، أما حذف الأداة فيُوحي بأنَّ الطرفين شيءٌ واحدٌ لشدَّةِ المشابهةِ؛ هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ وجود وجه الشبه يجعل المشابهة محصورة في الوجه المذكور دون سواه.

4- **التشبيه المُؤَكَّد المُجْمَل:** ويُسمَّى أيضاً (البليغ) أو (الموجز)؛ لأنه أوجزُ أو أقصرُ صورِ التشبيهِ الأربعة (باعتبار حذف الأداة ووجه الشبه)، وتسميته بـ(المُؤَكَّد المُجْمَل) أدقُّ وأوضحُ من تسميته (بليغاً)؛ لأننا لا نستطيع أن نَعُدَّ كلَّ تشبيهٍ فيه أداةٌ ووجهُ شبهٍ أو أحدهما أقلّ بلاغةً من التشبيه الذي حُذِفَتْ منه الأداة ووجه الشبه، أقصد نوع التشبيه الذي سموه (بليغاً)؛ لأنّ هذا الاعتبار اعتباطيٌّ يُخْرِجُ كثيراً من الكلام الجيد، بل يتعدّى الكلام الجيد إلى القرآن الكريم فيَجْتَثّ منه آياتٍ كثيرةً جاءت مُعَبِّرَةً عن معانيها أحسن تعبير وأدقه وأجمله وأجزله، لكنّ الذي يُستفادُ من هذا التقسيم الرباعي (أعني تقسيم التشبيه باعتبار وجود الأداة أو حذفها، وباعتبار وجود وجه الشبه أو حذفه) أنَّه بيانٌ لأنواع التشبيه بهذا الاعتبار، ولا بُدَّ من تسمية كل نوع من هذه الأنواع باسمٍ مُعَيَّنٍ، ولمَّا كان النوعُ الأخيرُ أخصرَها وأوجزَها، وكون البلاغة العربية هي الإيجاز، سمَّوا النوع الأخير بليغاً، لكنّ هذه التسمية فيها لَبْسٌ يُوحي بأبلغية التشبيه (المحذوف الأداة ووجه الشبه) وأفضليته على التشبيه الذي تُذكر فيه (الأداة ووجه الشبه)، والحقيقة أنَّ مقامات الكلام تختلف بحسب الحاجة إلى نوع التعبير، فإن اقتضى المقام الإيجاز، فإنّ المبدع يستعمل أسلوب التشبيه (**المُؤَكَّد المُجْمَل**)، وإن اقتضى المقام التفصيل والإيضاح والبيان استعمل المبدع أسلوب التشبيه (**المُفَصَّل المُرْسَل**)، وعلى كل حالٍ فالتشبيهُ (**المُؤَكَّد المُجْمَل**) هو الذي حُذِفَ منه الأداة ووجه الشبه، نحو: (**زيدٌ أسدٌ**)، وكقول الشاعر:

أنتِ نُعمى ورَوضَةٌ وشَبَابٌ ورَبيعٌ مُفَتَّحٌ بالحياةِ

فالتشبيه في هذا البيت قائمٌ على المُشَبَّه والمُشَبَّه به مُتَّحِدَينِ زالت بينهما الحدود واختفت الفواصل، فضمَّ كلّ منهما الآخر إليه كأنَّهما في عِنَاقٍ، وورد في القرآن الكريم قوله-ﷻ-: **چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ چ**[البقرة:١٨]، والتقدير: فهم كالصمّ، أو فهم صُمّ بُكم عمي، فالمُشَبَّه مُقدّر، والمقدّر كالملفوظ، فإمَّا أن يُحمل هذا التقدير عل التشبيه المُرْسَل المُجْمَل، أو على البليغ الموجز.

القسم الثانى- ألوانٌ أُخرى من التشبيه باعتبارات أُخر:

نقفُ الآن على ألوانٍ أُخرى من التشبيهات ضمن أقسام التشبيه التي ذكرها البلاغيون، وعَدَدُ هذه الألوان كثيرة جرى البلاغيون على تقسيمها باعتباراتٍ أُخرى-غير التي سبق ذكرها-، وسنتناولها بحسب عنواناتها:

1- التشبيه التمثيلي (أو تشبيه الصورة):

وهو درجةٌ عاليةٌ لنموذج التشبيه، يعتمد أساساً على التشبيه المفرد، لكنَّ الفرقَ بينهما أنَّ وجهَ الشبه في التشبيه **المفرد** صفة واحدة-وإن تعدَّدت في المثال الواحد- ويُمكن الفصل بين أجزاء التشبيه فيها، بينما وجه الشبه في التشبيه **التمثيلي** صورةٌ، أو هيأةٌ، أو وصفٌ مُنتزعٌ من مُتعدِّدٍ، ولا يُمكنُ الفصل بين أجزائه، وكثيراً ما يبدأ التشبيه التمثيلي بلفظ (مَثَل): **چﭑﭒﭓﭔ ﭕﭖﭗﭘﭙ ﭚﭛﭜﭝﭞ ﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦچ** [إبراهيم:١٨].

والتشبيه **التمثيلي**-عادة- يكونُ بين جُملتين، ولا بُدَّ من وُجود ارتباطٍ معنويٍّ وعنصريٍّ بينهما، ولا يُمكن إفراد أجزاء المُشَبَّه والمُشَبَّه به في التركيب، إذ يكونُ وجهُ الشبهِ هيأةً حاصلةً من شيئين أو أشياء تلاصقت حتى عدَّها المتكلمُ شيئاً واحداً، فإذا انتزع الوجه من بعضها دون الآخر، اختلّ قصدُ المتكلم من التشبيه، كقول الشاعر:

كأنَّ سُهيلاً والنُّجُوم وراءَهُ صفوفُ صلاةٍ قامَ فيها إمامُها

فلو قيل: (**كأنَّ سُهيلاً إمامٌ**)، و(**كأنَّ النجومَ صفوفُ صلاة**)، لذهبتْ فائدةُ التمثيل، وضاعَ قصدُ الشاعر؛ لأنَّ فضَّ التركيب سيغدو من الناحية التعبيرية فَضَّاً للصورة التي رسمها الشاعر في هذا التشبيه المُرَكَّب، فضلاً عن عدمِ وجودِ مُشابهةٍ بين طرفي التشبيه حَالَ تجزئتِهِ.

ومنه قوله-ﷻ-: **چﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓچ**[العنكبوت:٤١]، فلفظة (**مَثَل**) في الآية الكريمة أعطت للتشبيه صفةَ التمثيل الذي يصلُحُ لضرب المثل، ووجه الشبه هنا (**عدم النفع، وعدم دفع الضرر**)، يعني عدم نفع الولاية بالنسبة لهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء، فحالهم كحال العنكبوت اتخذت بيتاً وظنَّتْ أنَّهُ سيحميها ويقيها الضر، ومعلومٌ أنّ بيتَها أوهنُ البُيُوتِ.

ومن هذا القبيل قوله-ﷻ- في تصوير حال المنافقين: **ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ** [البقرة:17]، فالتركيب قائمٌ على تشبيه حال المنافقين الذين توشك كلمة الإيمان التي تنطق بها ألسنتُهم أن تأخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح، ثم ما يلبث الكفرُ الذي يضمرونه في قلوبهم أن يسدَّ عليهم كلَّ المسالك، فهذه الحال مُشَبَّهة بحال المستوقد للنار حين يبرق ضوؤُها حوله في ظلمات الليل، وما أن يحاول لمحَ معالِمَ الطريق حتى تنطفئ نارُهُ، ويغشاهُ

الظلامُ، فالطرفان مُرَكَّبان ووجهُ الشبه الذي يشترك فيه الطرفان هنا هو ظهور ما يُطْمِعُ في الوصول إلى المطلوب بسبب مباشرة أسبابه، وما أعقب ذلك من الحرمان والخيبة لزوال الأسباب، فهو صورةٌ أو تمثيلٌ، والتشبيه به يكون تشبيهاً تمثيلياً.

ومثله قول المتنبي:

يَهُزُّ الجيشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كما نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقابُ

فهنا يُشَبِّهُ المتنبي صورةَ الجيش (**ميمنته وميسرته، وسيف الدولة بينهما**)، وما في الميمنة والميسرة من حركةٍ واضطرابٍ بصورة عُقاب تنفض جناحَيها وتحركهما تهيُّؤاً للطيران، فوجه الشبه صورةٌ مُنتَزَعَةٌ من أشياء مُتعددة، وليس صفة مفردة، وهذه الصورة يمكن أن نتخيّلها وهي: (**وجود جانبين لشيءٍ في حال حركةٍ وتموّجٍ**).

وانظُرْ إلى قوله-ﷻ- لترى وتُدرك هذا النوع من التشبيه بشكلٍ أوضح، إذ قال: **چچ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ**[النور:٣٩]، ترى أنه-ﷻ- شَبَّه شيئاً معقولاً (**وهو أعمال الكفار**) بشيءٍ محسوسٍ (**وهو السراب**)، فوجهُ الشبه: صورةُ شيءٍ يخدعُ مظهره ويسوء مخبره، إذ إنّ الكُفَّار يَظُنُّون أنّ أعمالهم الباطلة ستنفعهم، ولكن سيُصطدَمون بالأمر الواقع هناك إذ إنَّها لا تنفعهم، ولا يُثَابون عليها.

وقال ﷻ: **چ ک ک ک ک ڑ ڑ ژ ژ ڈ ڈ ڎ ڎ ڍ ڍ ڌ ڌ ڇ ڇ ڇ ڇ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ**[يونس:٢٤].

فهذه الآية الكريمة تتكون من جُمل مُترابطةٍ إذا فُصِلَ أحدها عن الآخر فإنّ المعنى لا يتم؛ إذ شُبِّهَتْ حال الدنيا التي تُقْبِلُ بعد أن أُعْطِيَ أهلها كلَّ مُستلزماتها (**هذا هو المُشَبَّه**) بحال زرع أينع، فأعجب الزرّاعَ نباتُه، ثمّ أُتِيَ عليه فصار كأن لم يكن (**وهذا هو المُشَبَّه به**)، ووجه الشبه النضارة ومظنّة النفع في الدنيا المقبلة، أو الزرع الذي آتى أُكُلَهُ (فوجه الشبه مُنتزَعٌ من مُتعدِّدٍ، وهو تشبيهُ تمثيلٍ أو صورةٍ، وليس تشبيهاً مُفرداً).

2- التشبيه المقلوب:

هذا التشبيه مظهرٌ من مظاهر الافتنان والإبداع، (**وهو عكس طرفي التشبيه بحيث يكون المُشَبَّه مُشَبَّهاً به، بادّعاء أنَّ وجهَ الشبه فيه أقوى وأظهر**)، وقد سمَّاه ابنُ جني(ت392هـ): غلبة الفروع على الأصول[1]، وسَمَّاهُ عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ): (عكس التشبيه)، وتحدّث عن

[1] الخصائص: 308/1.

جعل الفرع أصلاً، والأصل فرعاً[1]، وسماه ابن الأثير(ت637هـ): الطرد والعكس[2]، وسماه العلوي(ت748هـ): (التشبيه المنعكس)[3].

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﭽﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾[البقرة:٢٧٥].

فالكلام في الآية الكريمة يدور حول الربا؛ إذ المُرابون يُريدون أن يُثبتوا شرعية الربا بتشبيهه بالبيع ليصلوا إلى إباحته كما أباح الله البيع، فعمدوا إلى قلب التشبيه، فجعلوا المُشَبَّه به مشَبَّهاً قاصدين إلى جعل الربا في الحلّ أقوى حالاً وأعرف وأظهر حِلّاً من البيع، فالربا في اعتقادهم حلالٌ أكثرُ من البيع، فجاء التشبيه مقلوباً، ومنه قول الشاعر محمد بن وهيب الحميري في مدح أحد الخلفاء:

وبدا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ وجْهُ الخليفةِ حينَ يُمْتَدَحُ

فالشاعر هنا مدح الخليفة وادَّعى أن ضوءَ الصباح يشبهُ وجهَ الخليفة، والأصل في التشبيه أن يُشَبَّه وجهُ الممدوح بتباشير ضوء الصباح؛ لأنَّ النورَ في الصباح أقوى منه في الممدوح، إلا أنَّ الشاعرَ قَلَبَ التشبيهَ وجعلَ الصباحَ هو المُشَبَّه، ووجهَ الخليفة هو المُشَبَّه به، راميا إلى المبالغة في المديح بإيحاء أنّ وجه الشبه أقوى في المُشَبَّه به (**وجه الخليفة**) منه في المُشَبَّه (**الصباح**)، أو أنَّ وجه الخليفة كأنَّه أعرف وأشهر وأتمّ وأكمل في النور والضياء من الصباح، فاستقام للشاعر بهذه النية أن يجعل الصباحَ فرعاً، ووجهَ الخليفة أصلاً.

والمعهود أيضاً أن يُشَبَّه الكلام الخشن المؤذي بالنبل، وأن يُشَبَّه العطاء وكثرة الجود بالوبل-المطر الشديد-،لكنهم عكسوا ذلك وقلبوا التشبيه فقالوا: (**كأنَّ النبلَ كلامُهُ، وكأنَّ الوبلَ نوالُهُ**)، ومثل هذا قول البحتري في وصف بُرْكَةِ المتوكل:

كأنَّها حين لَجَّتْ في تدفُّقِها يَدُ الخليفةِ لَمَّا سَالَ وادِيْهَا

فنرى أنَّ الشاعرَ شَبَّهَ تدفُّق ماء البحيرة-وما يبعثه تدفّق الماء في النفس من صورة للجود والكرم- بيد الخليفة حين يبسط يده بالعطاء، فهذا من التشبيه **المقلوب**؛ إذ الأصل أن تُشَبَّهَ يدُ الخليفة-حين يبسطها بالعطاء- بتدفُّقِ ماء البحيرة، لكنَّ الشاعرَ قَلَبَ التشبيه؛ لغرض المبالغة في ادّعاء أنَّ يدَ الخليفة أبلغُ وأظهرُ في العطاء من تدفُّقِ ماء البحيرة.

---

[1] أسرار البلاغة: 221.

[2] المثل السائر: 421/1.

[3] أسرار البلاغة: 221.